من شعراء (هَجَر) المبدعين ..ا لأستاذ حسين بن عبدالله المبارك

هو الأستاذ حسين بن عبدالله بن حسين المبارك , رجل في غاية التهذيب والتواضع والإيمان والورع والثقافة الواسعة الواعية ، من مواليد بلدة (القرين) بالأحساء عام 1382هـ , حاصل على بكالوريوس من كلية إعداد المعلمين و يعمل معلما في مدارس الأحساء . شاعر مطبوع مُجيد غزير الإنتاج طويل النفَس ، له حضور كبير و مكثف في الإحتفالات الولائية والأدبية , كتب في معظم الأغراض الشعرية , له مجموعة شعرية ضخمة بعنوان (عطر المودة) تحت الطبع . ترجمنا له في (معجم شعراء منتدى الينابيع الهَجَرية) الصادر عام 1434هـ وهو عضو بالمنتدى منذ عام 1415هـ .

عين القريضِ حليفةُ التّسهادِ

مشتاقةٌ للشعرِ والإنشادِ

تماما هذا هو وصف حال شاعرنا الأستاذ حسين بن عبدالله المبارك ، زاده الله توفيقا ، هذا هو حاله مع هاجس الشعر، الذي خامر عقله و قلبه ، وأقضّ مضجعهُ ، وألحّ عليه حتى أثرى ديوان المودة بمآت القصائد الرائعة.

وهذا هو حاله أيضا مع الإنشاد ، الذي جعله فارسا لا يشق له غبار ، من فرسان الولاء والوجد و الشجى ، و جعل اسمَه علما في رأسه نارٌ متوهجة في عالم الأدب الرفيع .

وهكذا وصف هو نفسه دون أن يدري ، ليريحني من عناء اختيار وصف مناسب له ، خاصة وأن شهادتي فيه مجروحة ــ كما يقولون ــ بموجب العلاقة العميقة والخاصة التي تجمعني به ، منذ شرفني بأول زيارة قبل ما يقارب الثلاثين عاما ، ليطلعني على باقةٍ من بواكير قصائده ، و منذ أصبح زميلا في (منتدى الينابيع الهجرية) ثم سكرتيرا لإدارة المنتدى .

ولا يدعك الأستاذ حسين تتحير طويلا ، أو حتى تسأل عن اسمٍ لذلك النبض الذي لا يهدأ ولا يستريح بين جوانحه :

حبٌّ نمَت روحي عليه وأورقتْ

جنـاتها واخـضرّ مـنه فـؤادي

حب لا يهيم بصاحبه في وديان التيه ، و لكنه الحب الذي يزيد العقل ثباتا ، والقلب نورًا ، واللسان حلاوةً و بيانًا :

يـا سـائلي مَـن أنا تُنْبيك قافيتي

فـإنها نـبض قـلبي فـي عباراتي

أضحى ولائي إلى قومٍ ينص لهم

بالفضل والحق دستور الرسالاتِ

وكأنه يسارع إلى إثبات هوية ذلك الحب وإلى وضع عنوان كبير واضح له ، وهل هناك أوضح وأكبر من اسم (عليّ) عليه السلام ؟ دالةً على الحب ؟ حب ا و حب رسوله و صفيّه محمد بن عبدا صلى ا عليه وآله ؟ :

لـولا (غـديرك) يـا عـلي دلـيلي

أنّـى يكون إلى النجاة وصولي ؟

لـولاك فـي دربـي مـنار هـدايةٍ

في مسمعي منها صدى التهليلِ

لــرأيتَ مــوج الــتيه حـطّمَ زورقي

حــتــى تــحــين نــهــايتي وأفــولــي

تــتعثر الــخطوات إنْ هــي أجفَـلَـتْ

مـــا بـــين مـشبوهٍ و بـــين دخـيلي

لـــولا غـديـرك مـــا وجـدتُ مـوانِـئًـا

أرســو بــهــا حــتــى أتــمّ رحـيلي

ويلذ له الحديث عن معشوقه الكبير ، كما هي عادة العاشق المتيم ، لتتواصل ملحمة المناجاة :

مذ كنتَ نوراً محدقا في عرشهِ

والــغيبُ كي يحميك صار عيونا

حـرستكَ عـين ا في ألطافِـهِ

فـكأنها سـدَلـَتْ عـليك جـفونا !

يــا من به شخص العدالة ماثلٌ

قـد أنصف المحروم والمسكينا

مــا غـرّتِ الـدنيا (عَـلِـيّاً) بعدما

قـــد لـــوّنتْ أشـراكـهـا تـلـوينا

ويتتبع خطى أمير المؤمنين عليه السلام بكل وجدانه ، حتى يقف أمامه محمولا على أعناق الرجال ، و شيبته تقطر من دم فوزه ، ليعتذر عن رثائه :

الـشعر يرثي من يموت ، وأنت مَن

يـسعى الـخلود لـكي يـنال رضـاكا

فـيـك الـحـياة تـجـسدت و تـمـثلتْ

أنـــت الـدلـيل لـهـا ولـــي سـواكـا

يـــا أيـهـا الـوِتـر الـــذي مـــلأ الـدنى

قـيـمًـا بـــهـــا قـــد أنـــقـذ الـهُـلاكـا

بك سيدي عرفوا الطريق إلى العُلا

فـمـشوا بـدربـك يـقـتفون خـطـاكا

و كعادة شاعرنا يجيب على الأسئلة قبل أن يطرحها أحد ، فكأن سائلا سأله : وماذا بعد ؟ ليجيب :

هذي ابنة الوحي المبين ومَن بها

نـطق الـكتاب فـكان خـيرَ مترجمِ

نـــص الـكـتاب ونـــص أحـمدُ أنـها

وُقِـيـَـتْ و شـيـعـَتـَها عـــذاب جـهنـّمِ

ويتواصل انهمار ذوب الوجدان الصادق المتوهج ، و شاعرنا ينتقل من أعتاب معصوم إلى أعتاب معصوم آخر , وعشق (عليّ) عليه السلام يحدو ركائب مودته و يؤجج لهيب وجده ، فللإمام الحسن عليه السلام آهة :

يـا ربـيع الحياة إنْ عقّك الوردُ

فـــقـد عـــقّ آيـــةَ الـرحـمـنِ

كنتَ بين الرياض أجمل فصلٍ

مذ حكى الماء قصة الأغصان

وللإمام الحسين عليه السلام دمعة :

أنـت يـامَن إسـمه خُـطّ على

هـامة الـخلد بحرفٍ مِن ثباتْ

أنـت يـامن رفـعوا فـوق القنا

رأسه شمسا أضاءت للسّ ُرَاة

أنت يامن سال مِن أوداجهِ

ذلك الإعصار يجتاحُ الطغاة

وللحجة الموعود ـ عجّل ا فرَجهُ الشريف ـ سؤالٌ على هيئة عتاب يقطر لوعة :

يا سيدي للصمت حَدّ ٌ واضحٌ

إنْ طال أغرى طغمةَ السفهاءِ

وكأنه يُهدي هذا الديوان ، هذا البوح المقدس إلى آبائه وأجداده اللذين استجابوا للنداء الإلهي (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ففتحوا عيون قلبه على حب محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام ، ولأمه الأحساء ، أحساء عليّ عليه و عليها السلام ، التي ضربت جذور هواه في ترابها الطهور حتى اهتزت وربت بمثل هذه القريحة التي ستظل شاهدًا على عمق إيمان و طهر و قداسة هذه الأرض المباركة :

بين الجوانح عطر شوق يعبقُ

من روض قلب بالمحبة يخفقُ

غنى وقد هز الغرام كيانَهُ

طربا و أضلاع الولاء تصفّقُ

ليست مشاعره تباع و تشترى

لـكـنـهـا إرثٌ قـديـمٌ مُـعـرقُ

و رغم جمال و روعة ما كتبه الأستاذ حسين في مختلف أغراض الشعر إلا أنني أستسلم لصدق و لبهاء و لعمق شعره الولائي فأكتفي به شاهدا على ما يمتلكه هذا الشاعر الفحل من إمكانيات إبداعية هائلة .

هنيئا لكم يا شعراء (هجَر) على هذا الحظ العظيم ، وعلى هذا الاصطفاء المبارك ، لخدمة القيم المقدسة ، والمبادئ السامية . وهنيئا لك يا أستاذ حسين هذا الولاء العتيد الذي هو غني بما فيه من صدق و جمال عن أي وصف وعن أي إطراء .